

سياسة أمريكا الخارجية والقوى المشاركة في صنعها

7. الرأي العام

د. محمد عبد العزيز ربيع

كانت الحكمة المألوفة في الماضي القريب تقول إن رئيس الدولة أو القائد السياسي هو الجهة الأقدر على خلق رأي عام تجاه القضايا العامة، ودفع الشعب لتشكيل مواقف متعاطفة مع وجهة نظره والالتزام بتوجيهاته. لكن حقائق الواقع في الدول الديمقراطية تشير اليوم إلى أن الحكام لم يعودوا قادة بالمعنى التقليدي، بل أصبحوا إداريين سياسيين يلهثون خلف الرأي العام وينتظرون استطلاعات الرأي العام كل صباح لتحديد مواقفهم وتعديل سياساتهم. وهذا يعني أن القادة السياسيين أصبحوا تابعين للرأي العام أكثر من كونهم قادة له. إلا أنه على الرغم من أهمية الرأي العام في توجيه السياسات الحكومية في كل المجالات تقريبا، فإن الرأي العام لا ينشط ولا يصبح فاعلا بالنسبة لقضايا السياسة الخارجية إلا أثناء الأزمات الدولية الطاحنة التي تهدد منجزاته ومستقبله بالخطر، وتؤنب ضميره، ولا تسمح له بإغلاق عينيه والتظاهر بعدم رؤيتها.

إن الرأي العام لا يأتي من فراغ، بل يتشكل بناء على معلومات وإشاعات وتوجيهات تساهم القوى الفاعلة في المجتمع في جمعها وتحليلها وإيصالها للعامة من الناس من خلال الوسائل الإعلامية وإفنائهم بما توحى به من حقائق واحتمالات. ويمكن القول عموما أن الرأي العام يتشكل عادة على مراحل وعبر فترات زمنية قد تطول، يتم من خلالها قيام القوى المعنية بالتركيز على قضايا محددة دون غيرها، وتحريض الناس على الوقوف موقف المؤيد أو المعارض للسياسات الحكومية المتعلقة بها وكيفية تعاملها معها. ومهما قيل عن أهمية القادة السياسيين في خلق الرأي العام، فإن وسائل الإعلام تعتبر الجهة الأكثر تأثيرا في مواقف الناس، وبالتالي الأكثر قدرة على تشكيل وبلورة وتحريك الرأي العام. ويعتبر التلفزيون، وذلك بسبب إمكانياته غير العادية على الوصول إلى كافة قطاعات الشعب في كل ساعات الليل والنهار، أكثر الوسائل الإعلامية وغير الإعلامية قدرة على الإسهام بفاعلية في تشكيل وإعادة تشكيل الرأي العام، والتأثير في توجهات الناس، خاصة على المدى القصير.

وينحصر دور التلفزيون وغيره من وسائل إعلامية ومؤسسات بحثية وأكاديمية معنية في العمل على خلق رأي عام متعاطف مع قضايا شعوب ودول معينة دون غيرها، واتخاذ مواقف غير

متعاطفة وأحيانا معادية لمشاعر وتطلعات شعوب أخرى. وتقوم الجهات المعنية بالعمل على تشكيل الرأي العام المطلوب من خلال رسم وتنفيذ حملات تثقيفية مركزة ومنكاملة ومتواصلة تشمل الكلمة المكتوبة والمسموعة، والصورة المرئية، والنشرة الإخبارية، والمعلومة الاقتصادية والمالية، والحقيقة التاريخية، والبرامج الدراسية، والبحوث الأكاديمية، والدعاية التجارية، والفلم الوثائقي، والسينما والمسرح، والفنون التشكيلية والبرامج الترفيهية وغير ذلك. أما بالنسبة للسياسة الخارجية، فإن تأثير الإعلام وغيره من مؤسسات معنية في الرأي العام يأتي من خلال التركيز على الحدث حال وقوعه، وإيضاح أبعاد الكوارث والأزمات من خلال الصورة، وذلك كما يحدث حين تقع حروب ومجاعات وكوارث طبيعية مدمرة ذات علاقة بمصالح أمريكا وإستراتيجيتها الدولية، حيث يتم التركيز عليها ووضعها في مقدمة الأخبار اليومية وإضافة تفاصيل جديدة إليها كل يوم، وذلك لعدة أسابيع وربما لأشهر متواصلة. وفي ضوء ذلك يصبح من الصعب على صانع القرار السياسي إهمال مشاعر الأمريكيين، والتغاضي عن تلك الأحداث ومواقف الرأي العام حيالها.

ومن الأمثلة على قيام الإعلام بخلق رأي عام متعاطف مع وجهة نظر الحكومة وآخر متعارض معها التركيز على الأزمة التي أثارها قضية احتجاز رهائن أمريكيين في إيران في أعقاب انتصار الثورة الإسلامية في عام 1979. إذ اضطر الرئيس كارتر في ضوء تلك الأزمة، وبسبب ما أثارته من اهتمام شعبي عارم إلى القيام بمحاولة عسكرية فاشلة لإنقاذ الرهائن كان من نتائجها خسارته في الانتخابات الرئاسية وخروجه من البيت الأبيض. واليوم يتم التركيز على قضية دارفور في السودان، حيث يتم اتهام الحكومة السودانية غير المتجاوبة مع الرغبات الأمريكية بارتكاب جرائم إبادة بحق السكان والتسبب في خلق مشكلة لاجئين يقدر عددهم بمليوني شخص. وفي الوقت ذاته، يتم إهمال قضية اللاجئين العراقيين الذين يقدر عدد من يعيش منهم خارج العراق بمليوني شخص، وعدد من يعيش منهم في داخل العراق بأكثر من ذلك. بل إن الإعلام الأمريكي، وبالتعاون مع الدعاية الحكومية، اتجه إلى تحميل الحكومة العراقية مسؤولية تلك المشكلة، وذلك بسبب بطء عملية المصالحة الوطنية، أي اتهام الضحية والسكوت على المعتدي لأن المعتدي هو الحكومة الأمريكية نفسها التي تمثل الشعب الأمريكي وتفضل كل شيء باسمه ودفاعا عن مصالحه.

إن أهمية قضايا السياسة الخارجية لا تعني أن الرأي العام الأمريكي يبذل جهدا كبيرا للتعرف عليها، وأنه يقوم بمتابعتها واتخاذ المواقف المناسبة حيالها. إذ تشير الدراسات الأكاديمية واستطلاعات الرأي العام إلى أن الشعب الأمريكي يكاد أن يحرص اهتماماته في القضايا الاقتصادية والمشاكل الاجتماعية ذات الصلة المباشرة بأوضاعه الحياتية وحياته اليومية. وبينما تعتبر قضايا البطالة

والتضخم والضرائب في مقدمة القضايا الاقتصادية، تعتبر مشاكل الجريمة والمخدرات وانحراف الشباب والفقر والعنف ونقص الخدمات الصحية أهم المشاكل الاجتماعية. ويعود السبب الرئيس في ضعف اهتمام الجمهور الأمريكي بقضايا السياسة الخارجية إلى بعد بلادهم عن المناطق المضطربة وبالتالي عدم تأثرهم مباشرة بمعظم ما تعيشه دول العالم الأخرى من اضطرابات وحروب من ناحية، وإلى اطمئنانهم بأن لدى الرئيس الأمريكي والجهاز التنفيذي التابع له القدرة الكافية والصلاحيات الكاملة للتعامل بحزم مع ما قد تواجهه أمريكا من مشاكل وأزمات، وإدارة العلاقات مع الغير من الدول والمنظمات الدولية بكفاءة.

وعلى العموم، قلما قامت المؤسسة الإعلامية بنقد المبادئ الأساسية للسياسة الخارجية الأمريكية، أو بالتخلي عن الرئيس أثناء الأزمات الدولية ذات العلاقة بمصالح أمريكا وقيمها ونظام حياتها. إلى جانب ذلك، قلما سمحت المؤسسات الإعلامية للمعارضة السياسية بعرض وجهة نظرها والإسهام في تشكيل رأي عام يتجاوب مع رؤيتها للأمور، مما جعل من الصعب إحداث تغييرات أساسية في سياسة أمريكا الخارجية، خاصة فيما يتعلق بانحيازها الكامل لإسرائيل، وعدائها شبه المطلق للعرب والمسلمين.

للنشر يوم الثلاثاء 26-6-2007

د. محمد عبد العزيز ربيع professorrabie@yahoo.com

Website: yazour.com